أثر التّناص الديني في أدب مصطفى صادق الرافعي (1880 -1937م) وحي القلم نموذجا

The impact of religious intertextuality on MOSTAFA Sadek el rafiaai's literature "WAHIOU EL KALM" as a model.

سوعاد متلف*
metlefsouad89@gmail.com
مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)

تاريخ الإرسال 2019/05/15 تاريخ القبول 2020/08/02 تاريخ النشر 2020/12/01

ملخص:
يتلخص مضمون هذه الورقة البحثية في الحديث عن التّناص من حيث المصطلح ونشأته وتعدد مسمياته، كما اهتم هذا البحث بتأصيل التّناص ورصد تجلياته في النقد الغربي والعربي هذا عن الجانب النظري؛ أمّا الجانب التطبيقي فقد تكفل البحث بدراسة التّناص الدّيني في كتاب وحي القلم للأديب المصري مصطفى صادق الرافعي وشمل في ذلك تناص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما شمل البحث أيضا تناص القصص القرآني ، والشخصيات الدينّية بما في ذلك المفردات القرآنية أيضا، فكان هذا التنوع من آيات وأحاديث وحتى ألفاظ، وشخصيات دينية قد أثرت تأثيراً بارزا على أدب الرافعي وجعلت منه أدبا يحظى بجمالية هادفة وجودة أسلوبية فنية راقية.

الكلمات المفتاحية: التّناص الديني، أدب، أثر، مصطفى صادق الرافعي.

Summary:
The content of this study speaks of intertextuality at the term and its basis and the plurality of its appointment, this research based on the basis of intertextuality and its appearance in Western and Arab criticism, at the theoretical level, and concerning the practical part, the study dealt with religious intertextuality in the Egyptian MOSTAFA Sadek el rafiaai's book "WAHIOU EL KALM" (the inspiration of the pen), where there was intertextuality in the Qur'anic verses and hadiths of the prophet, as well as in the Qur'anic accounts, by religious figures and Qur'anic terms, which represents how much RAFAAI and its literature are influenced by the Qur'an.
His literature is characterized by impressive aesthetics and artistic and stylistic quality.
Key words: intertextuality, literature, influence, Mustafa Sadiq al-Rafi'i.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة:

إنّ الحديث عن موضوع التّناص قد بات يتطلب تأملاً منذ بدايته الأولى، لأنّ محطاته الزمنية منذ تاريخ ظهوره عرفت عديد التغيرات، فتعددت مسمياته واختلفت الآراء حوله، وتعود هذه الاختلافات التي صنعت ثغرات تعمل على بعث نوع من الضبابية خاصة عندما ترجم هذا المصطلح من الأجنبية إلى العربية ، فوجدناه في المقابل العربي بتسميات لا حصر لها أبانت عن عدم استقراره ، ولأنّه وليد البيئة الغربية لذا شكلت الترجمة أيضا أمامنا هاجساً تاريخياً يقف موقف العشوائية التي ظهرت من خلالها، ولأنّ تاريخانية المصطلح النقدي الغربي مهد لكثير من الإشكالات التي أضحت تواجهنا اليوم ولهذا تراودنا عدة تساؤلات في بحثنا وهي: كيف تجسد مفهوم التّناص الديني عند الأديب مصطفى صادق الرافعي؟ ما مدى كفاءة الرافعي في اقتباسه آيات من القرآن الكريم ؟ وإلى أي مستوى خدم هذا التّناص أدب الرافعي؟

- يهدف هذا البحث إلى استنطاق النص الأدبي عند الرافعي و الكشف عن فنيات التّناص الديني وكيفية تعامله وتفاعله مع النص القرآني .
- المساهمة في توضيح وضبط مصطلح التّناص كونه ظهر في النقد الغربي.
- محاولة تبيين الانسجام الذي صنعه النص القرآني مع النص الأدبي عند الرافعي.

2- التّناص في النقد الأدبي

2-1.مفهوم التّناص في النقد الغربي.

يعتبر النص الركيزة الأساسية التي يقوم عليها التّناص، لذا فإنّ التناص عرف عدة مفاهيم تتباين نسبيا سواء عند النقاد الغربيين أو عند نقادنا العرب، من النقاد الغربيين الذين تطرقوا إلى هذا المفهوم نجد: السميولوجي الروسي مخائيل باختين (1895-1975م) فاستخدمه في "نهاية العشرينيات من القرن العشرين (1928-1929) تحديداً وذلك بمسميات منها كالحوارية[1]Dialogisme)والتعدد الصوتي أو البوليفونية (polyphonikue)[2] تجلّت صورة هذا المصطلح في أعمال باختين عندما تحدث عن تداخل السياقات في كتابه "فلسفة اللغة" وألحّ بأهمية "الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص أو-أجزاء- من نصوص سابقة عليها، والذي أفاد منه فيما بعد العديد من الباحثين"[3] فقد اقتصر مفهوم التّناص عند باختين في مسمى الحوارية وتعدد الأصوات التي بدأت إرهاصاً لما يعرف بالتّناص .

أمّا مفهوم التّناص عند **جوليا كريستيفا** (Julia Kristeva) (1941) حين بادرت مباشرة إلى صياغة مصطلح الحوارية وتحويره إلى مفهوم آخر ألّا وهو" التّناص" فاستندت في ذلك إلى أعمال باختين، مما تبيّن هذا مفهوم التّناص لديها باعتباره " فضاء كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان"[4] في حين يقوم النص بعملية" ترحال للنصوص وتداخل نصي ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى فيه نوع من ملفوظات عديدة مقتطعة

من نصوص أخرى[5]، فهي تحدد من جهة النص باعتباره فضاء واسع غير محدود تتعدد فيه الأنظمة اللسانية، حيث أنّ النص بنية لغوية دينامية تتقاطع من خلالها ملفوظات آتية من نصوص أخرى.

فالنص يشكل وجوده من نصوص أخرى تصنع حيزا مركزيا أو النص البؤرة، في حين تجلى التّناص عند رولان بارث (ROLAND PARTHES)(1915-1985م) وهو من الحداثيين الغربيين الذين وفروا وقتا معتبرا لدراسة التّناص ، استند على بحوث جوليا كريستيفا، كما أنّه انضّم هو الآخر إلى جماعة "تيل كيل"، فلما "أطلق العرب إشارة بأنّ النص جسد"[6] فقد كتب بارث في مقال أعلن فيه عن موت المؤلف وميلاد القارئ وهي مسلمة صرح بها، وتعد هذه الفكرة بمثابة الخطوة التي أسست لبارث لما يعرف بالنّصوصية (Textuality) وذلك عام 1968م، بعدها بادر بارت إلى تأليف كتابه عنونه بـ "لذة النص" 1992م فأضاف كماً غزيراً في مجال التّناص "فوصفت دراسته بالفعّالة كونها لا تقل أهمية عن الدور الإجرائي الذي قامت به كريستيفا منطلقا من منجزاتها ومشاريعها التناصية"[7] فكانت نقطة انطلاق باعتبار أنّ النص ذو فضاء لغوي يكاد يكون نادراً فهو أحد مكونات اللغة .

أمّا مارك أنجنيو1941م(marc angenot) فقد أدلى بدلوه هو الآخر حين أعطى مفهوم التّناص بصياغة جديدة قائلا:" كل نص يتعايش بطريقة من الطرق، ويصبح نصاً في نص..."[8] التّناص نص يتعايش مع النصوص الأخرى بأي طريقة من الطرق فهو لا يخلو من الكلمات التي تعد في نظره مؤشرات لأفكار ومعاني النص المتناص.

2-2- مفهوم التّناص في النقد العربي:

إنّ الحديث عن التّناص في البيئة العربية يتطلب نوعا من التمعن كون هذا الموضوع هو وليد البيئة الغربية، ولهذا التفّ حوله العديد من نقادنا العرب، وإذا ما عدنا إلى تأصيل درس التّناص في النقد العربي لكانت ظاهرة السرقات الأدبية واحدة من القضايا التي بزغت في الساحة النقدية قديما، والتي تبادرت إلى أذهان العديد من النقاد والبلاغيين، فأثارت هذه القضية جدلًا واسعًا ونقاشًا طويلا بين الباحثين، الشيء الذي جعل موضوع السرقات يشّد اهتمام الباحثين القدماء في تراثنا النقدي العربي هو أنّ مؤشرات تلك الفترة رحبت بالإبداع ونادت به كمبدأ تستحسنه البيئة الجاهلية وتلحُّ عليه؛ لأنه يأتي بالجديد و يعمل به على تقييم العمل الفني للمبدع ، وفي المقابل نبذت كل أنواع وأشكال السرقات وما يرتبط بها ووضعتها جانبًا.

من النقاد من طعن جازمًا في هذه قضية السرقات ويرى بأنّها عيباً، وهناك من يراها مجرد أخذ أو اقتباس وما شابه ذلك، فتعددت مصطلحات هذه القضية وتنوعت تسمياتها، ولعل الدافع الأول الذي مهد السبيل لتدارك قضية السرقات هو"تضمين بعض الشعراء شعرهم الحديث عن السرقات الشّعرية "[9]، فانتقل هذا الموضوع من الشعراء إلى النقاد والبلاغيين من خلال ما تجلّت في كتبهم النقدية، نجد من الباحثين الذين أولو اهتماماً كبيرا

بهذا الموضوع الناقد محمد عزام وهو من الحداثيين حين عرف ظاهرة السرقات الشّعرية قائلاً: هي "أن يعمد شاعر لاحق، فيأخذ من شعر الشاعر السابق: بيتًا شعريا، أو شطر بيت، أو صورة فنية، أو حتى معنى ما..."[10] والسرقة في هذا التعريف تشمل شطرا أو جزء من بيت أو حتى بيتا بكامله، ولا تكون السرقة لفظا فقط وإنّما تشمل أيضا المعاني والأفكار، وقد عالج محمد مندور قضية السرقات هو الآخر بحيث أنّ دراسة قضية السرقات في منظوره لم تكن ممنهجة إلاّ مع ظهور أبو تمام، فهناك من وضع أنواع وفقط وهناك من ذكرها وفصّل فيها، فنجد بعض النقاد تكلموا عن هذه الأقسام منهم: محمود صايل في كتابه قضايا النقد القديم وهي على قسمين وترد كالآتي:[11]

الأول: سرقات أسلوبية أو لفظية.

الثاني: سرقات معنوية تختص بمعنى العبارة.

إذن: يرد السرق إمّا في أساليب، والأسلوب هو "الضرب من النظم والطريقة فيه[12] هذا على حد تعبير الجرجاني، وإمّا ترد في شكل ألفاظ وعبارات، إمّا على مستوى الألفاظ أو على مستوى المعاني. وقد شهدت هذه القضية أنواعاً عديدة حوالي ما يقارب العشرين نوعاً وتختلف تسمياتها باختلاف أنواعها خاصة لما ذهب إليه ابن رشيق القيرواني(390-456هـ) في كتابه العمدة وجعلها حوالي عشرين نوعًا ونذكر من هذه الأنواع ما يلي:السّلخ والنّسخ والمسخ، الاحتذاء، الاصطراف، الأخذ، التضمين، الاقتباس، الاختلاس، الموازنة، المرافدة، الانتحال، الإهتدام...[13] وهذه التسميات كثيرة ومتقاربة في مفهومها إلاّ أننا لم نذكرها كلها حيث باتت تقتصر على الشعر لأنّه كان يمثل الممارسة الفعلية التي يتجلى فيها الإبداع بشكل كبير وواضح.

أحرز هذا الموضوع حظاً وافرا من الدراسات فسمي بالتّناص (Textualite) بل بمصطلح عبر نصية (Transtexlualite) أو النّصوصية ، ويعد محمد مفتاح من السّباقين الذين أولو أهمية كبيرة بالتّناص (Intertextualité) فبدت نظرته في بدايتها ناقدة لمجموعة من النقاد الغربيين أمثال كرستيفا، أريفي (Arrivé) ولورانت وحتى ريفاتير (Riffaterre) وغيرهم على أنّهم لم يتمكنوا من وضع مفهوم أو تعريف شامل ومحدد لمصطلح التّناص (Intertextualité) وعندما أحال إليه فقال: التّناص بالنسبة للشاعر" هو بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان فلا حياة بدونهما ولا عيشة له خارجهما "[14] وأمام ما يطرحه محمد مفتاح هو أنّ التّناص لا يمكن الاستغناء عنه، فهو في قيمته أشبه بالهواء والماء وله زمان ومكان معينان ولا يمكن لأي شاعر أن يتخلى عن هذه العناصر بل شيء لا مفرّ منه للمبدع.

يعد أحمد الزغبي من النقاد المعاصرين الذين أولو اهتمامهم بالتّناص إذ نجد يوضح بقوله:أنّ التّناص هو "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكار أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة ...، بحيث تندمج هذه الأفكار فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[15] إنّ موضوع التّناص كثيرا ما خصص له وقتا معتبرا إلا أنه مازال ينتابه بعض الغموض لأنّ الموضوع واحد وطرح الآراء حوله متعددة، وتؤكد الدراسات

النقدية أنّ مصطلح التّناص عندنا في العربية يترجم تارة إلى النصوصية أو عبر النصية ولكن فيما ذهب إليه عبد العزيز حمودة إلاّ أنّ الصحيح في التسمية هو البنيصية."[16] نستخلص من هذه المفاهيم باختصار أنّ التّناص هو مجموعة من النصوص تتجمع في نص واحد بطريقة منسجمة داخل ذلك النص، حتى يتمكن أكثر من نص أن يتعايش مع نصوص أخرى سابقة عليه زمنيا.

3- مصطفى صادق الرافعي:

هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي سوري الأصل ، مصري المولد، نسبه يعود إلى عمر بن الخطاب، مولده كان في بهتيم عام (1880م)، توفي في طنطا بمصر سنة 1937م، ترك عدة مؤلفات منها:

-ديوان شعري: ثلاثة أجزاء- تاريخ آداب العرب جزءان- تحت راية القرآن- وحي القلم ثلاثة أجزاء...[17]

4.مفهوم التّناص الدّيني

أصبح النص القرآني يشكل أرضية خصبة للعديد من الكتّاب والشعراء بحيث يعد القرآن الكريم مصدرا مهّما من مصادر التّناص ، فتبادر إلى أذهانهم أن ينهلوا من هذا المصدر المحكم في تنزيله، أمّا التّناص الدّيني هو عملية " تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية "[18] ويعد الرافعي واحد من الأدباء الذين نهلوا من القرآن الكريم وتمثل التّناص الديني في عمله الفني فيما يلي:

دراسة التّناص الدّيني وأثره على أدب الرافعي:

نتناول دراسة ما يلي:

تناص شخصيات دينية، تناص آيات قرآنية، تناص أحاديث نبوية، تناص قصص قرآنية، تناص مفردات قرآنية.

4-1.تناص الآيات القرآنية.

"يترك النفس راضية مرضية تقول لمصائبها وهي مطمئنة: نعم، وتقول لشهواتها وهي مطمئنة : لا."[19]

قال تعالى: "﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾"[20]

النفس المطمئنة وهي النفس التي قدمت ما يرضي الله في الدنيا ورضيت به وأرضاها وآمنت وأيقنت بوعد الله ومعنى، (ارجعي إلى ربك راضية) أي الرجوع إلى الجسد، أو إلى صاحبك الذي خرجت منه فادخلي فيه؛ فيقال لها يا أيتها النفس المطمئنة وهي النفس الهادئة التي تنال الثواب من الله تعالى وهي مقتنعة وراضية بجزاء الله لها[21] ويذكرنا الرافعي عن طريق هذه الآية بشكل غير مباشر بأنّ الإيمان هو الذي يزرع الاطمئنان في النفس

لأنّه يمثل عقلا ثانيا إلى جانب العقل الإنساني، والعقل الثاني هو الذي يجعل النفس الإنسانية تميّز بين ما هو خييّر فتقبل بالقيام عليه وهي مطمئنة، وتبتعد عن كل ما هو عكس ذلك.

"مثقال ذرة من الخير والشر"[22]

قال تعالى: ﴿**فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيرا يَرَهُ وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّة شَرّا يَرَهُ**﴾"[23] نزلت هذه الآية حين كان أبو بكر يأكل مع النّبي، فرفع أبو بكر يداه صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول اللّه إني أُجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذّر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذّر الخير حتى توفاه يوم القيامة "[24]، فإنّ حقيقة نزول هذه الآية عندما وعد اللّه على الكبائر فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، وحذرهم اليسير من الشّر فإنّه يوشك أن يكثر، ومثقال ذرة يعني وزن أصغر النمل ومعنى [خيراً يره] يعني: يسرُّه ذلك، فلكل سيئة جزاء سيئة، ولكل حسنة أضعافها"[25] كل ما تقوم به النفس من أعمال خيّرة أو أعمال شريرة فيوزن ذلك كله في ميزان يزن الحسنة بمقدارها والسيئة بمقدارها وإن كانت في حجم ذرة خيرا كانت أو شر فلها مقدارها من الثقل فالنفس البشرية بطبيعتها تخطيء وتصيب .

"حملته أمه كُرهًا ، وأثقلت به كُرهًا ، ووضعته كُرهًا"[26]

قال تعالى"﴿**حَمَلَتهُ أُمُّهُ كُرها وَوَضَعَتهُ كُرها**﴾"[27].

تتضح دلالة هذه الآية أنّ الأم تحمل الجنين كرها أي حملته على مشقة وتعب من وحام وغشيان وثقل، ووضعته كرهاً أي شدة الطّلق وهو الوضع"[28] حيث يرى الرافعي بقوله حين أضاف عبارة " وأثقلت به كرها" أنّ الإنسان يعتبر عالة حتى في بطن أمه وبما وصفه أيضاً بأنه حقير ونذير شؤم وما إلى ذلك من الأوصاف الذميمة التي صرح بها، فهو يشير بقوله إلى الإنسان بعالمه في بطن أمه وفي عالمه الثاني ألا وهي الحياة التي سيعيشها بآلامها وأحزانها وما إلى ذلك.

"يدعو لمن ضره أقرب من نفعه، لبئس المولى ولبئس العشير"[29]

قال تعالى: ﴿ **يَدعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقرَبُ مِن نَّفعِهِۦۚ لَبِئسَ ٱلمَولَىٰ وَلَبِئسَ ٱلعَشِيرُ**﴾ **[30]**" أي:ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها، وأما في الآخرة فضرره متحقق متيقن .وقوله:" بئس المولى وبئس العشير " ويعني به الوثن فبئس هذا الذي دعا به دونِ الله مولى يعني وليا وناصرا"ولبئس العشير" وهو المخالط والمعاشر"[31]، ويقصد الرافعي من خلال قوله أنّ المشرق العربي يطمع في تقليد كل ما هو موجود في الغرب، فهو بذلك يميل إلى ما يضره من مخالطة في حين أنه لا يعلم ما يضره أكثر بكثير ما ينفعه أي: يأخذ بنفسه إلى الهلاك ويسعى إلى تكريس القوانين الغربية بكل مبادئها، من خلال هذا الخطاب يوجه رسالة إلى مجتمعه العربي وينهاه عن الأشياء التي تنبعث من الغرب التي تضر بمجتمعه.

نبرز أثر الآيات القرآنية على أدب الرافعي من حيث أنّها أغنت الدلالة السياقية واللفظية بعدما كانت خفية في بعض جوانبها؛ حيث عملت على تشكيل مسار يضع اللفظ في أرقى صور الفهم التي يتلقاها المتلقي،كما يبعث على تشيّيد معناه دلالة وتركيبا، لأنّ هذا النوع من التّناص جعل نص الرافعي أن يحظى بأدب متزن المعالم سهل الفهم متصل التعبير، كما أنّه رفع من قيمة هذا النص الأدبي الذي صنع الجمالية والأدبية والفنية معا فقد مهدت له السبل الكفيلة حتى يرقى إلى مستوى التلقي الهادف ومرتبة الإبداع الآخاذ الذي ينبئ عن أهمية التفاعل الذي أبدعه الرافعي من القرآن الكريم بما يخدم نصه ويمده بأسس فنية ذات جودة عالية وأهمية بالغة.

4-2. تناص الأحاديث النّبوية:

الأحاديث النبوية لا تقل أهمية عن القرآن الكريم فقد وظّف الرافعي في كتابه وحي القلم عدد من الأحاديث النّبوية، ونستخرج بعض منها بالشرح والتوضيح ما يلي:

"لا عين رأت ولا أذن سمعت"[32]

جاء في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: أعددت لعبادي الصالحين **ما لاَ عينٌ رأتْ ،ولا أذنٌ سَمِعت،** .."[33] يعد هذا الحديث حديثا قدسيا يوحي إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قد أعدّ لعباده جنّة الخلد وملك لا يفنى، فمقدرة العقل البشري لا تستطيع أن تتوصل إلى أبسط كيف هي الجنة، لهذا قال ما لم تراه عين الإنسان ولم تسمع به، كما أنّ وصف الجنة جاء في القرآن الكريم عدة مرات ، وذكر ما فيها من أنهار وأشجار ولكنها تختلف تماما عما هو موجود في الدنيا.

"الدنيا لا تعدلُ عندَ اللهِ جناح بعوضة"[34].

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال : قال رسول الله**صلى الله عليه وسلم** " لَوْ كَانَتْ الدُّنيَا تَعْدلُ عند الله جَنَاحَ بَعُوضَة..."[35]رواه الترميذي وقال: حديث صحيح.

أشار الحديث إلى أنّ "هوان الدنيا على الله وسقوطها عنده، وكذلك طلابها الذين أصبحت أكبر همّهم ومبلغ علمهم، هو أنّ الدنيا تجعل طريقا للدار الآخرة ومستنبتا للأعمال الصالحة "[36] لأنّ مهما بلغ الإنسان فيها وعظّم من شأنها فهي لا تساوي شيئا بل لا تعدل حتى جناح بعوضة بل أتفه مما هي في تصوراتنا إلا ما استحب فيها من الأعمال الصالحة، وهذا تذكير لنا أن نستغل أوقاتنا فيما ينفعنا من الأعمال الصالحة وفيما ينفع المؤمن لينال سعادة الدارين.

"التّحيات والصلوات والطيبات لله"[37]

حدثنا أبو نُعيم حدثنا سيف قال: سمعت مجاهدا يقول : حدثني عبد الله ابن سخبرة أبو معمر قال : سمعت ابن مسعود يقول: علمني رسول الله**صلى الله عليه وسلم** – وكفي بين كفيه التشّهد كما يُعلمني السورة من القرآن: التحياتُ لله، والصلواتُ والطَيِّبَات،...[38] فالتحيات هي التّحية والتعظيم لله تعالى، وكل صلواتنا

وعباداتنا التي نقوم بها هي لله "[39] كل ما هو طيب من صلاة وزكاة وغيرها وتعظيم وثناء فهو لله والخير كله بيد الله وحده، ومناسبة الرافعي في استحضار هذا الحديث حين وجد من الناس لا يلتزمون بمبادئ الدين الإسلامي ويعارضون في ذلك التحية.

يبدو الرافعي متأثراً بالأحاديث إذ نجده في إنتاجه الأدبي يميل إلى توظيفها؛ لأنه رأى في الحديث أهمية كبيرة ساهمت في خدمة ودعم إنتاجه الأدبي، ليصنع معه تفاعلا يضيف إلى النص الأدبي لديه وزنا من العيار الثقيل حتى يبدو هذا العمل الأدبي ممزوجاً بما هو ديني ولتصنع هذه الازدواجية مسار حقيقيا يتعانق فيه النص النبوي مع النص الأدبي ، وهذه الازدواجية أشبعت العمل الأدبي ومدّته باللفظ الجزل والدلالة المعبرة لدرجة أصبح النّص ذو صبغة غنية بمحتويات الطابع الدّيني التي تخلق في نفسية المتلقي حب الاطلاع أكثر فأكثر.

4-3.تناص القصص القرآنية .

القصص القرآنية لها طابعها الخاص في سرد الأحداث ، وأكثر ميزة تتميز بها القصة الدينية هي أنّها حقيقية، فهي تحمل طابعا مميزا ، ونجد هذا الكاتب قد وظّف في أدبه هذا النوع من القصص ،ونذكر عدة قصص موجودة في النص القرآني جعلها الرافعي أداة حاضرة في نصه منها ما يلي:

"فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما"[40]

قال تعالى: "**فَأَكَلَا مِنهَا فَبَدَت لَهُمَا سَوءَٰتُهُمَا**"[41]

تشير الآية الكريمة إلى قصة أوّل الخلق آدم عليه السلام حينّ أدخله الله تعالى الجنّة مع حواء،" وقال لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة، فجاء إليهما الشيطان ووسوس لهما بأنّ تلك الشجرة لا مثيل لها، فمن أكل منها خلد ومكث في الجنّة ولم يزل عنهما الشّيطان حرصاً حتى أكل آدم منها، حينها سقط عنه لباسه الذي كان يستره، وسقط شعره وأخذ من أوراق الأشجار يستتر بها ، فعصى آدم كلام الله وامتثل لما قاله الشيطان ،وهذا العمل الذي قام به آدم وحواء غيرا مجرى حياتهما وندم آدم ،إلا أنّه طلب المغفرة من الله فتاب الله عليهما وأخرجهما من الجنّة التي كانا ينعمان فيها.[42]

"فأوحى الله إليه ما أوحى"[43]

قال تعالى: "﴿**فَأَوحَىٰ إِلَىٰ عَبدِهِۦ مَا أَوحَىٰ**﴾"[44]

يمثل هذا تناص قرآني مع سورة النجم ، وهنا يتحدث عن قصة الإسراء والمعراج الذي حدثت للنبي صلى الله عليه وسلم حين صعد إلى السماء السابعة والتقى بالأنبياء ،" وكانت رحلة النّبي من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السّماء وكان معه جبريل عليه السلام، حين وصل إلى بيت المقدس صلى النّبي بالأنبياء، ...ثم عرج به جبريل فوق السماء السابعة فسمع صريف الأقلام فأوحى إليه الله تعالى وفرض على أمته خمسين صلاة ولم يزل النّبي صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى خففها إلى خمس صلوات في اليوم.[45] كان هذا

باختصار قصة الإسراء والمعراج وهي قصة اختلف الناس حولها، وعبارة "فأوحى إلى عبده ما أوحى " أنّ الله أوحى إلى النّبي محمد بواسطة جبريل عليه السلام أنّ الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك"[46] وتبقى القصص الدينية راسخة في التاريخ وتفرض وجودها بقوة عبر مر العصور لأنها تمتاز بالحضور الراسخ في كتابه العزيز.

يمثل القصص القرآنية للرافعي منبعا ثراً، لأنّ القصص الديني عنده يعتبر:" فناً كاملا قائما بنفسه، لا يبدع العقل والخيال والعاطفة أقوى منه ولا أعجب ولا أغرب"[47] كما أنّ هذا اللون من التّناص ساهم بشكل كبير في رصّ الدلالة القصصية في أدبه وأبرزها في أبهى أسلوب قصصي هادف يبث روح الطابع الديني له، فزاد من تثمين عمله الفني حينها كشف عن التّنوع التعبيري في تتويج المفاهيم إلى البعد الدلالي وتأهيل المعنى إلى مستوى يعانق شوق المتلقي بالاطلاع عليه، لأنّ الدلالة في هذا السّياق أضحت تستحق التأمل في أدبه عداد المرات .

4-4. تناص أسماء الأنبياء. [محمد – آدم – المسيح عيسى]

الشّخصيات الدينية لها فضل كبير عندما تستدعى في النص الأدبي ، ونجد الرافعي قد استعان في نصه بعديد الشّخصيات ونذكر منها:

شخصية آدم: وهو أوّل الخلق يرمز إلى أصل الإنسان، وهو أيضا من أنبياء الله، فقد أدخل الجنة وأخرج منها، استدعى الرافعي هذه الشخصية لأنّ لها فضل كبير عنده و مكانه عالية.

أمّا **شخصية محمد صلى الله عليه وسلم:** هو خير الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين، أرسله الله للعالمين نذيرا، وتميز بصفاته الخلقية والخُلقية وجاءنا إلى هذه الأمة بالقرآن الكريم وحياً من عند الله بواسطة جبريل عليه السلام،

أمّا **عيسى** عليه السلام هو: المسيح عيسى بن مريم واسم من أسماء الأنبياء وشخصية دينية بارزة معروفة بين قومها. فجاء بمعجزة الإنجيل ويعتبر من أولى العزم من الرسل.

الشّخصيات الدينية صفة مميزة خاصة لما تبديه من دلالات رمزية تزيد النّص الأدبي جمالاً، وأضحت الشخصية الدينية في أدب الرافعي تكتنز العديد من الدلالات التضافرية، للرفع من قيمة النّص ومكانته فتضفي عليه طابعا جماليا ثريا بأبعاد الانسجام الروحي للنص الذي يزين الدلالة ويضعها في أبهى حلة تستنطق المعنى وروحه الأعمق ؛ فتفجر دلالات متناغمة تمتزج وتقدم معناً جمالياً .

4-5. تناص المفردات[الجنة – القارعة– الطامة– تَمُورُ]

مفردة الجنة: إنّ خير ما استعمله الرافعي في تناص الألفاظ هو لفظة "الجنّة "وقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم حوالي أكثر من ستين مرة ..، وتشير إلى معاني العلو والجزاء الحسن فالجنة مكان عند الله في ملكه يكافئ

عباده الذين يمتثلون لطاعته ويوحدونه بالربوبية والألوهية في الدنيا، فيجازيهم الله الجزاء الأوفى، فالجنّة لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فلا يستطيع العقل الإنساني أن يتوصل إلى معرفتها وما فيها.

مفردة القَارِعَةُ: "هي من أسماء يوم القيامة وسميت بذلك لأنّ الله تعالى يقرع أعداءه بالعذاب، **أي** يتساءلون عن موعدها ومتى يأذن الله لهذه الساعة أن تكون وكيف تكون"[48] ولفظة القارعة من الغيبيات لا يعلمها أحد إلا الله وحده.

مفردة الطَامَةُ: وهي من المفردات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والطامة هي من أسماء يوم القيامة أيضاً والإنسان يعرض بما قدم من خير وشر..[49]

مفردة" تَمُورُ" هذه المفردة نادرة الاستعمال فقد جاءت في القرآن الكريم في سورة الطور فمعنى تَمُورُ "تدل على الحركة والدوران أي تتحرك وتدل على الاختلال في التوازن أثناء الحركة "[50] كما أنّ هذه المفردة تشير على انتقال حال الشيء إلى حال آخر .

الشيء الذي دفع الرافعي أن ينهل بعض المفردات من التنزيل المحكم هو أنّ استدعاء المفردة القرآنية لها دور مهّم جداً لديه ؛ لأنّها أضافت إلى هذا الأدب أو النّص طابعا لغويا وتعبيرياً مميزا ، وأزاحت ستار الغموض كما أنّها اكتنزت أبعاد المدلول اللفظي حتى يستوفي دلالات داخل السّياق التركيبي للنص، في حين أغنت المعجم اللغوي لديه وأحالت مباشرة بكل جدارة عن عمق الدلالة بما يخدم تعبيره ويرسل مقاصده، واستعمال الرافعي هذه المفردات في نصه الأدبي ليس عشوائيا بل جاء اختياريا في صورة تعكس أصالة المنبع التراثي الديني الذي اتكّأ عليه الرافعي في بناء صرحه الأدبي ألا وهو القرآن الكريم والحديث.

5. خاتمة:

صنعا القرآن والأدب نسيجاً متناغماً ثراً بعديد الحمولات الدلالية التي تنعش السطر الأدبي في أدب مصطفى صادق الرافعي، فقد استخدم الجانب الديني من آيات و أحاديث نبوية و قصص وحتى مفردات من النص القرآني، وصنع هذا التّناص تفاعلا حقيقيا امتزت فيه أدبية الرافعي مع التنزيل المحكم والمعجز في نظمه مسارً طبع العمل الأدبي بصبغة غنية ومفعمة بمواصفات وسمات الدلالة الدينية، فأخرجت بذلك عملاً فنياً راقياً أبان عن حسن اختيار وبراعة وكفاءة هذا الأديب، وأعطى التّناص الديني صبغة جمالية للنص الأدبي مدعمة ومفعمة بالاستشهاد اللفظي القرآني مما زاد في تفعيل المعنى واحتراسه من التشتت، كما أنه أثرى التجربة الأدبية عند الرافعي وليس غرضه أن يكرر ما جاء في القرآن الكريم؛ بل أراد أن يذكرنا بحكم وقصص تاريخية أرادنا أن نعتبر منها.

يعد النص القرآني أرضية خصبة ومادة خام بات يتكئ عليها الرافعي ويعمل بمقتضاها وهذا ما كشف لنا عن مدى فنية التعامل والتفاعل مع النص القرآني لأنه أصبح مصدرا قداسيا وتراثياً ثريا بالدلالات والمدلولات

الإيحائية، كثيرا ما كانت بعض المعاني تفتقر عموماً إلى الدلالة اللفظية والتعبيرية، فقد وجد في النص القرآني ما يخدم مقاصده ومعانيه بشكل يتناسب والأفكار التي يطرحها.

الهوامش:

[1]– الحوارية: تعني عند باختين تمايز عدة أصوات تعبر عن مواقف مختلفة او وجهات نظر متباينة للعالم، ينظر: وليد الخشاب دراسات في تعدي النص، ص9.

[2]– يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الإختلاف،ط1، الجزائر، 1429-2008، ص391.

[3]– ظاهر محمد زواهرة، التّناص في الشعر العربي المعاصر، التناص الديني نموذجا ، دار حامد، ط1، الأردن ، 1431هـ- 2013، ص28.

[4]– جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، ط2، المغرب ، 1997، ص21.

[5]– المرجع نفسه، ص21.

[6]– عبد الله الغذامي ، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة ، ط4، مصر، 1998، ص70.

[7]– إبراهيم محمد الدهون: التّناص في شعر أبي العلاء المعري، عالم الكتب الحديث، دط، عمان، الأردن، 2011،ص14.

[8]– ينظر:أحمد الزغبي: التّناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون، ط2، الأردن، 142هـ-2000، ص13.

[9]– ينظر:محمد عزام: النص الغائب، تجليات التّناص في الشعر العربي، دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دط، سوريا، دت، 2001، ص80.

[10]– محمد عزام: النص الغائب، تجليات التّناص في الشعر العربي، ص101.

[11]– محمد صايل حمدان، عبد المعطي نمر، معاذ السرطامي: قضايا النقد القديم، دار الأمل، ط1،الأردن، ، 1404هـ- 1990، ص86.

[12]–عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مطبعة المدني،ط3، القاهرة، 1992، ص468-469.

[13]– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص280-291.

[14]– محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التّناص، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 1992، ص125.

[15]– أحمد الزغبي التّناص نظريا وتطبيقيا، ص11.

[16]– ينظر:عبد العزيز حمودة : المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية،مطابع الوطن ، دط،الكويت، 2001.ص451.

[17]– ينظر: مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، المكتبة العصرية، دط، لبنان، ج1، ص6، وينظر: محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى، ط3، مصر، 1375هـ 1955، ص23.

[18]– المرجع نفسه، ص37.

[19]– مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج2، ص88.

[20]– سورة الفجر،آ[27-28]

[21]– أبو الفرج الجوزي القرشي: زاد الميسر في علم التفسير ، المكتب الإسلامي، ط3، لبنان، 1404هـ 1984، ج9، ص123-124- 125.

[22]– مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج2،ص08.

[23]– سورة الزلزلة : آية [7-8].

[24]– أبو الفداء بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، لبنان، ط1 مزيدة ومنقحة، 1420هـ-2000، ص 2022.

[25]– ينظر: المرجع نفسه، ص 2023

[26]– مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج2، ص102

[27]– سورة الأحقاف : [آ15].

[28]– ينظر: ابي الفرج الجوزي القرشي: زاد الميسر في علم التفسير، ص376-377، وينظر: أبي الفداء بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، ص1703.

[29]- مصطفي صادق الرافعي، وحي القلم، ج2، ص216.
[30]-.سورة الحج: آ[13]
[31]- أبو الفداء بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، ص1265.
[32]- مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج2، ص 190.
[33]- أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1423هـ- 2002، ص801.
[34]- مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم، ج1، ص 106.
[35]- أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي، بهجة الناظرين في شرح رياض الصالحين، دار ابن الجوزي، ط3، مصر، 1997،المجلد 1، ص541.
[36]- المرجع نفسه : ص542.
[37]- مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج2، ص198.
[38]- أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث6265،ص1564.
[39]- ينظر:عبد الله بن حمود الفريح، 2016، شرح ومعنى التحيات لله والصلوات والطيبات: httpswww.alukah.net.
[40]- مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج1، ص216.
[41]- سورة طه: آية[121].
[42]-ينظر: أبي الفداء بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، ص1228.
[43]-مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم، ج2، ص33.
[44]-سورة النجم : آية[10].
[45]-موقع إلكتروني :سناء الدويكات، نوفمبر2018، قصة الإسراء والمعراج، http://modoo3.com
[46]- أبي الفداء بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، ص1777.
[47]-مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم، ج2، ص32.
[48]- أبي الفرج الجوزي القرشي: زاد الميسر في علم التفسير، ج8، ص345-346.
[49]-ينظر: المرجع نفسه، ص2025/2024.
[50]- ينظر: محمد متولي الشعراوي: دت، تفسير يوم تمور السماء مورا، www.alro7.netK.